المملكة المغربية
وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني
والتعليم العالي والبحث العلمي

ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵓⵙⵎⵔⵙ ⴰⵏⴰⵎⵓⵔ ⴰⵣⵡⴰⵔ ⴰⵎⵙⵙⵓⵍ
ⴰ ⵙⵓⵓⵍⵎ ⴰⵏⵖⵍⵎⴰ ⴰ ⵙⵓⵣⵣⵙ ⴰⵎⵓⵓⵙⴰ

الفلسفة

الأولى باكالوريا

المجزوءة الأولى: مـــا الإنسان؟

الإنسانُ معجزة الكون..

"ما الإنسان؟" سؤال مُتجَذِّرٌ في التفكير الفلسفي، يسْتوطن الفلسفة منذ نشأتها، هو أشبه ببوصلة تُرشدنا إلى إمكانية العثور على تعريف للإنسان في الإنسان ذاته، أي في كل فرد نجد ما هو ما هو عام ومشترك، وهذا معنى عبارة سقراط الشهيرة "أيها الإنسان إعرف نفسك بنفسك".

إن الإنسان هو الكائن الذي يُحاول معرفة نفسه باستمرار، يُفكِّر ويتأمل أحوال وجوده، وتفكيره غالبا ما يكون مسكونا بالنقد، وهنا تكمن القيمة الأساسية للحياة الإنسانية، وبهذا الصدد يقول سقراط: "إن حياة لا توضع موضع التأمل لا تستحق أن تستمر" .

إن سؤالنا: ما الإنسان؟ ليس سؤالا "مجردا"، وإنما هو سؤال يقصد إنسانا حيا، يشعر ويتخيل ويدرك، يرفض ويوافق... هو إنسان يعيش في هذا العالم، له علاقات بالآخرين، له أسرة، ينتمي إلى مجتمع، يتكلم لغات مختلفة، يتواصل مع شعوب، قريبة أو بعيدة، يقيم في عدة أمكنة، ويمتلك وعيا بذاته ومحيطه ومسؤولياته، وأحيانا ينفلت منه الوعي ليعيش في اللاوعي والإيديولوجيا والأوهام، تختلط رغباته بحاجاته... والإنسان فرد لكنه يعيش داخل مجتمع يزخر بالعادات والتقاليد، هذا المجتمع يمنح مكتسبات، لكن في المقابل يفرض قواعد وإكراهات وإلزامات والتزامات..

المفهوم الأول: الوعي: la conscience

يشبه الفيلسوف والعالم الفرنسي "بليز باسكال Blaise Pascal" في كتابه "خواطره penseés" الإنسان بالقصب الضعيف، لكنه قصب مفكر وهنا تكمن قوة الإنسان بل وعظمته.

"L'Homme n'est qu'un roseau, le plus faible de la nature ; mais c'est un roseau pensant… penseé fait la grandeur de l'Homme."

بالتفكير تمكن الإنسان من وعي ذاته ووعي العالم، والتمييز بين الخير والشر، مما يجعل الوعي الخاصية المميزة للإنسان، لكن هذا المفهوم يحمل العديد من المفارقات les paradoxes والإحراجات تجرنا إلى اشكالات فلسفية من قبيل:

- ما حقيقة الوعي؟

- هل يمكن اعتبار الوعي هو المحرك للسلوكات والقرارات الإنسانية ، أم أن اللاوعي هو المحرك الخفي للسلوك الإنساني؟

- ما علاقة الوعي بالأيديولوجية؟ هل الأيديولوجية تمكن الوعي من الأدوات اللازمة لإعطاء صورة حقيقية عن حياتنا الواقعية وعن ذواتنا، أم أنها على العكس من ذلك تتدخل لتشويه الواقع وقلب الحقائق؟

المحور الأول: الإدراك الحسي والشعور

تحليل نص الوعي نشاط عصبي فيزيولوجي لعالم بيولوجيا الأعصاب، الفرنسي جان بيير شونجو(1936-...) Jean Pierre Changeux كتاب في رحاب الفلسفة، الصفحة:

1- مطلب الفهم:

يتأطر النص ضمن المجال الإشكالي الأنطولوجي لمجزوءة ما الإنسان؟ التي تفتحنا على الأبعاد الجوهرية للموجود الإنساني الخارجية والداخلية، والتي تحدده وتميزه عن باقي الموجودات، خاصة مفهوم الوعي وقضية الإدراك الحسي والشعور (حقيقة الوعي) التي تتسم بالتعقيد وتضعنا أمام إشكال فلسفي يحمل العديد من المفارقات والإحراجات الفكرية التي تشي بها التقابلات التالية: الجسد\الروح، الحواس\الفكر، الدماغ\العقل... وهذا ما يدفعنا لطرح الإشكالية التالية:

- ما الوعي؟

- هل الوعي من طبيعة مادية أم مجردة؟

- هل هو نشاط عصبي، أم تجربة حسية، أم جوهر مفكر؟

- هل الوعي مفهوم فلسفي أم ظاهرة علمية يمكن دراستها بشكل علمي دقيق؟

- هل يمكن تحديد الوعي بدقة، أم أنه يستعصي عن أي تحديد؟

2- مطلب التحليل:

جوابا على هذه الإشكالية تقدم عالم بيولوجيا الأعصاب شونجو بأطروحة مفادها أن الوعي من الوظائف العليا للدماغ فهو نشاط عقلي عصبي مشروط فزيولوجيا، حيث أن الحواس تتعرض لمنبهات خارجية وتقوم بإرسالها إلى خلايا الجهاز العصبي، رافضا بذلك الخطابات الفلسفية واللاهوتية حول الوعي لعدم علميتها، بل يجب تفسيره وإخضاعه للتجارب العلمية الدقيقة، ولتوضيح موقفه وظف جملة من المفاهيم شكلت الإطار النظري لتصوره، حيث حدد الوعي بكونه نشاط عقلي مشروط فزيولوجيا، والفيزيولوجيا هي علم دراسة الوظائف الحيوية للكائنات الحية، والفزيولوجيا البشرية تتشعب إلى عدة فروع، فزيولوجيا القلب والشرايين، فزيولوجيا الجهاز العصبي...، والجهاز العصبي يسمى أيضا بالجملة العصبية، ويتكون من جهاز عصبي مركزي، وجهاز عصبي محيطي، والخلايا العصبية هي أيضا الوحدات العصبية الأساسية أي العصبونات ووظائفها مختلفة ومتنوعة.

- لكن كيف دافع عالم الإعصاب شونجو عن دعواه؟

لإقناعنا بوجهة نظره اعتمد شونجو على مجموعة من الأساليب الحجاجية شكلت الهيكل الإستدلالي لأطروحته، استهلها بدحضه لإدعاء الفلاسفة وعلماء اللاهوت (الأطروحة النقيض) الذين يرون أن دراسة الوظائف العليا للدماغ هو مجال من مجالات اختصاصهم حجتهم في ذلك أنه لم يخضع بعد للتحليل العلمي الدقيق، حتى يمكن الحسم في صحة أو عدم صحة الآراء الفلسفية والدينية حول هذا الموضوع، إضافة إلى أن التدخل الغير العلمي في هذا المجال لن يكون إلا عائقا أمام البحث العلمي في الوظائف العليا للدماغ، لذا طالب صاحب النص بإبعاد كل خطاب أدبي كيفما كانت طبيعته عن الحديث في هذا المجال، لأن دراسة الوظائف العليا للدماغ وعلى رأسها الوعي هي من اختصاص علم بيولوجيا الأعصاب، بعدها تقدم بأطروحة يعتبرها علمية (الأطروحة البديل) يقر فيها من منظوره كعالم بيولوجيا الأعصاب أن كل نشاط عقلي عبارة عن نشاط عصبي مشروط فزيولوجيا ومن خلال للفلاسفة وعلماء اللاهوت وتأكيده لأطروحته يكون قد اعتمد اسلوب البرهان بالخلف، ولتقوية موقفه اعتمد حجاجية المسند إلى سلطة علمية متمثلة في كتابات العالم البيولوجي جاك مونو Jacques Monod حول العقل البشري حيث قال أن من سمات العقل البشري قدرته على تخيل الوضعيات ذهنيا من أجل استباق النتائج وتهيئ الفعل، أي أن كل شيء يتهيأ داخليا قبل أن يشهد النور خارج الذات، ليختم مرافعته الحجاجية بحجج علمية واقعية تتمثل في نتائج الدراسات العلمية النفسية-الفيزيائية التي تؤكد على الطابع المادي للصور العقلية.

3- مطلب المناقشة:

- موقف الفيلسوف برتراند راسل Bertrand Russell:

. قراءة وتحليل نص: ل: "برتراند راسل" الصفحة: 15

بالرغم من أهمية الطرح العلمي حول موضوع الوعي فإنه لم يلق القبول المطلق من طرف الفلاسفة، حيث يقر الفيلسوف راسل بصعوبة التحديد الدقيق لمفهوم الوعي الذي مازال في حاجة إلى الكثير من البحث والدراسة، يقول "أن ما يظهر لأول وهلة كمفهوم واضح في متناولنا، هو في الواقع عكس ذلك تماما". لكنه رغم ذلك ربط الوعي باليقظة، وينبّه إلى المنزلقات اللغوية، سيما وأن اللغة عاجزة أحيانا عن التعبير الدقيق، وغير خفي قدرتها على التشويه والتزييف، ومع ذلك يرى راسل أن الوعي يتمظهر في:

- الإدراك الحسي الخارجي: وهو يشير إلى ردود الأفعال التي يبديها الإنسان تجاه الوسط الذي يعيش فيه.
- الإدراك التأملي الداخلي: الذي يتيح للإنسان معرفة عالمه الداخلي من أفكار وعواطف ، وهو ما سماه "راسل" بالإستبطان.

وفي الأخير يؤكد صاحب النص أن كل ما قدمه من أفكار حول موضوع الوعي لا يعني الإحاطة العامة بدلالة مفهوم الوعي، مما يجعله في حاجة ماسة إلى توضيحات وكتابات أكثر.

4- مطلب التركيب:

تتسم جغرافية الوعي بتشعبها وصعوبة مسالكها وتباين تصوراتها، بين وجهات نظر علمية ترى أن تحديد الوعي مجال اختصاصها وهي تختزله في النشاط العصبي، في حين أن المواقف الفلسفية مختلفة لدرجة لا يمكن استحضارها برمتها، وهو اختلاف يشكل إغناء وإثراء في محاولة تحديد مفهوم الوعي، الذي انخرطت العلوم الإنسانية بدورها للإجابة عن التساؤل: ما الوعي؟ يجيبنا عالم الإجتماع الفرنسي إميل دوركهايم Durkheim Emele

أن وعي الفرد هو صدى للوعي الجمعي، ووعي الفرد يتكون عن طريق التنشئة الإجتماعية ويقصد بها مجموع عمليات التعلم التي عن طريقها يكتسب ويستدمج الأفراد العادات والتقاليد والقيم والإتجاهات السائدة في بيئتهم منذ طفولتهم المبكرة في الأسرة والمدرسة وباقي المؤسسات كوسائل الإعلام المعاصرة التي أصبحت المصنع الضخم لأنماط الوعي الإنساني، وه ما يبرز تعقد وزئبقية الوعي، وتعدد الأبعاد والمكونات التي تحدده.